

الفارسية وعيوب المنطق العربي

للمكرر لما

عيوب المنطق عند العرب كثيرة ، منها اللفظة وهي عجمة في اللسان
وعى ، والألفظ الذي لا يتم العربية من عجمة في لسانه . وعن المراد
أن اللفظة أن تعرض على كلام المتكلم اللغة الأعجمية . يقال فلان يرتضخ
لفظة رومية أو حبشية أو سنديّة أو ما كانت من لغات العجم (١) .

ويشبه الجاحظ كلام حير بكلام العجم لما فيه من العجمة والألفاظ
المنكرة ، ويسمى هذه العجمة في لسانهم « طمطانية » كما أنه يسمى العجمة
التي مرت في منطق أهل الفرات « لخلخانية » (٢) .

ويذكر ابن عبد ربه من بين آفات المنطق « الطمطنة » وهي أن يكون
الكلام مشبهاً لكلام العجم (٣) .

ومنها اللحن وهو ترك الصواب في القراءة ، ويتصل في الأغلب
بالإعراب ، وهذه الآفات تدل على انحراف اللسان عن سنن المنطق العربي
الصحيح بتأثير لغة أعجمية في أغلب الأحوال .

وقد كان للغة الفارسية باعتبارها اللغة الأعجمية المقصودة في هذا البحث
دخل في هذه الانحرافات التي تعثرى اللسان ، فالفارسي قد يتعلم العربية
ويجيدها ويرع فيها براعة عظيمة تمثل في ما خلفه في الأدب العربي
والدراسات الإسلامية من منشور ومنظوم ، ولكن لسانه العربي الجديد لا يخلو

(١) لسان العرب مادة لكن .

(٢) البيان والتبيين ٣/٢١٢ ط. لجنة التأليف .

(٣) نقد الفريد ٢/٤٧٦ ط. لجنة التأليف .

مع ذلك من أثر لغته الأصاية . والعربي قد يتعلم الفارسية فيعاق بلسانه بعض ما في لغة الأعاجم مما يؤثر في سلامة منطقه العربي ، أو قد يخالط الأعاجم ويعيش معهم في مصر واحد فيتأثر لسانه بهذه المخالطة .

ومن أهم العيوب التي أحدثها تزاخم الفارسية والعربية في لسان واحد الالكنة أو العجمة واللحن . وهذه الالكنة على صور :

فمنها ما يلحق اللهجة فيجري الكلام على جرس يخالف ما ألفه العرب .

ومنها ما يلحق حروفاً بعينها كتلك الحروف التي لا يحسن الفرس نطقها كالحاء التي تتحول في لسانهم إلى هاء : فيقولون في مثل حمزة وحرف : حمزة وهرف ؛ وكالعين التي تصير همزة فيقولون في مثل عرب : أوب ، وعشرت بمعنى السرور والنهوض : إشرت ؛ وكالغاف التي تخرج من ألسنتهم غيباً فيقولون في مثل قريب : غريب ؛ وكالضاد التي ينطقونها ضاء ، فيقولون في مثل قاضي : قاضيا ؛ وقاضي ، وظيا .

ومنها ما يتصل بالإعراب وهو العيب المعروف باللحن ، وإن كان يمكن إدراجه في باب الالكنة لأن الأعاجم ومنهم الفرس لا يعرفون .

ومنها ما يدخل العربية من القياسات والصيغ الدخيلة التي لا يعرفها العرب .

ولا غرابة في أن تؤثر الفارسية في المتطابق العربي كل هذا التأثير ، فقد شارك الفرس في الحياة الإسلامية مشاركة فعالة في كل نواحيها ، وكانت طبقة الموالي وأغلبهم من الفرس ذات أثر كبير في توجيه الحياة العامة للمسلمين ، وكان أثر هؤلاء الفرس في منطق العرب يزداد كلما انتشرت الفتوح الإسلامية في المشرق . ذلك أن هذه الحروب كانت تسفر عن انتشار الإسلام انتشاراً سريعاً بين الفرس الذين أسلم عدد كبير منهم عن طواعية واقتناع ، كما قباه عدد آخر اتقوا أنفسهم شر الحرب أو يتخلصوا من دفع الجزية . وكان على هؤلاء المسلمين الجدد أن يتعلموا العربية لأنها لغة دينهم الجديد .

هذا ، فضلا عن الأعداد الكبيرة من الأسرى الذين عادوا مع العرب
الفاخمين إلى الأمصار الإسلامية فأسلموا وعاشوا بين أهلها . وهؤلاء
الأسرى نشروا لغتهم في كل مصر حلوا به من أمصار العالم الإسلامي ،
وأثرت لغتهم في ألسنة أهل تلك الأمصار .

نفى البصرة ثلاثا كان للفرس شأن كبير ، وكان منهم فريق من أهل
أصبهان أسلموا وهاجروا إلى البصرة حيث أقاموا وارتفع شأن عدد منهم
كعبد الله بن الأصبهاني الذي تنبأ إليه دار ابن الأصبهاني بالبصرة ،
والذي كان له أربعائة مملوك . ويذكر البلاذري أن الجنود الساسانية
الذين وجههم يزدجرد إلى الأهواز بقيادة سياه الأسوازي لمقاتلة العرب
قد رأوا من ظهور الإسلام وعز أهل ما حبيهم فيه فبحثوا إلى أبي موسى
الأشعري يعرضون عليه أن يدخلوا في دين الإسلام ويحاربوا مع العرب
ضد أعدائهم من العجم ، على شرط أن يؤمنهم العرب وأن يسمحوا لهم
بالنزول بحيث أرادوا من البلدان ، فأجابهم أبو موسى إلى ما طلبوه فاختاروا
البصرة حيث نزلوا في الخبط التي نسبت إليهم (١) وتابعت بعد ذلك هجرة
مقاتلة الفرس إلى البصرة (٢) .

وعندما سبى عبد الله بن زياد طائفة من أهل بخارى أسكنهم البصرة ،
وظلوا بها حتى بنى الخجاج مدينة واسط فنقل كثيرا منهم إليها (٣) وقد بلغ
عدد هؤلاء الأسرى أربعة آلاف (٤) . وسكة بخارية زياد معروفة بالبصرة .

ولم تقطع طوائف التجار والصناع من الفرس عن التردد على البصرة .

وكانت الكوفة أيضاً من الأمصار التي تدفق إليها سيل الفرس وقد نزلوا

(١) نترح البلدان : ٣٨٠ ط. مصر ١٩٠١ م .

(٢) نفس المصدر : ٣٨١

(٣) نفس المصدر : ٣٨٤

(٤) تاريخ بخارا : قرغش من ٤٦ ط. طهران .

عدد من جنود الفرس الذين حاربوا العرب في أول الأمر ثم ما لبثوا أن مالوا إليهم ودخلوا في دينهم وحاربوا الفرس بسيفهم ، وبلغ عدد هؤلاء أربعة آلاف شهدوا القادسية مع رسم القائد الفارسي ، فلما قتل وانهمز المحوس رأوا السلامة في انضمامهم للعرب ، وقد أمنهم القائد العربي سعد بن أبي وقاص واشتركوا معه في قتال الفرس وشهدوا فتح المدائن وجلولاء ، فلما فرغوا اختاروا الكوفة مقاماً لهم (١) .

وكانت الكوفة كذلك مركزاً تجارياً مهماً يجتذب إليه عدداً كبيراً من التجار وأهل الصناعات والحرف الذين انضموا إلى من سبقهم في الكوفة من الفرس وكونوا بذلك جالية كبيرة سيطرت على هذا المضمار ، ونشرت بين أهله وسكانه لغتها الفارسية .

وكانت الحيرة معقلاً من معاقل نفوذ الفارسي إذ فيها انتشرت لغتهم وثقافتهم وفنونهم وتجارتهم زمناً طويلاً قبل الإسلام وبعده ، ولا غرو فقد كانت تخضع خضوعاً مطلقاً لسلطان الفرس . وقد كون العرب أمارتهم في الحيرة منذ عهد ملوك الطوائف (٢) وكانوا يحتفظون بملكهم في هذه المنطقة بتأييد من الفرس . ونشأ بهرام جور الملك الفارسي الساساني بين العرب في الحيرة وتولى تربيته وتهذيبه النعمان بن امرئ القيس حتى أحاد العربية ونظم الشعر العربي . ولا مجال للتفصيل في علاقة عرب الحيرة بالفرس فهذا أمر مشهور . وكان من الطبيعي بعد هذا أن يترك الفرس آثارهم في حياة العرب المقيمين بتلك الإمارة .

وفي اليمن كذلك امتد نفوذ الفرس وقد غزتها الجيوش الفارسية أكثر من مرة في عهد الدولة الساسانية لنجدة أهلها وتحريرهم من أيدي الأحياش الذين غزوا اليمن وعاثروا فيها فساداً . وبسبب هذه الحروب أقام الفرس ببلاد

(١) فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢٨٩

(٢) اليعقوبي : ١/٢٢٦

اليمن زمناً طويلاً وتزاجوا وعرفت سلالتهن في بلاد اليمن بالأبناء . وظهر
منهم في العهد الاسلامي شخصيات معروفة (١) .

وبالإضافة الى ذلك كانت اليمن مركزاً تجارياً هاماً بين الشرق والغرب .

وكذلك هاجر الفرس الى بلاد الشام . ويروى البلاذري أن زياداً سير
بعضهم اليها بأمر معاوية ، وهم بها يدعون الفرس ، بينما يدعون في البصرة
الأساورة ، وفي الكوفة الحمراء (٢) .

وكان الحجاز أيضاً على صلة مستمرة بالفرس ، فالقوافل التي تحمل
البضائع تتجه اليه من بلاد الفرس ، كما كان أهل الحجاز يرددون
على أسواق الحيرة للبيع والشراء . وازداد عدد الفرس في الحجاز تبعاً
لازدياد الفتوح في المشرق ، وورد الى الحجاز عدد كبير من أسرى الحروب
وظلت هجرتهم اليه مستمرة . وفي العصر الأموي كان الأمويون يشجعون
هجرة الفرس الى الحجاز وعلى الأخص من كان منهم من أهل المهجر كالفناء
حتى ازداد عدد المغنين من الفرس في مدن الحجاز زيادة عظيمة وشاع
الفناء بين الناس . وكان الأمويون يحنون هذا ويقصدون من ورائه أن يشيع
المهجر والمجون بين أهل الحجاز ليشغلهم ذلك عن المطالبة بالخلافة وانتزاعها
عن بني أمية .

وفي العصر العباسي آلت الأمور كلها فترة من الوقت الى يد الفرس ،
وتغلغل نفوذهم في كل صغيرة وكبيرة من أمور الدولة حتى حياة الخليفة
الشخصية لم تعد ملكاً خالصاً له . وبلغ الأمر بحضرة بن يحيى البرمكي
الى أن يزوج ابنة الخليفة الرشيد دون أن يستأذن أباه في ذلك (٣) . ولما قام

(١) منهم طلوس بن كيسان ، ووهب بن منبه ، ووضاح اليمن وغيرهم .

(٢) نصح البلدان : ٢٨٩

(٣) فقهري : ١٨٦

النزاع بين الأخوين الأمين العربي الخالص والمأمون الفارسي الأم ، قال
الرفاعي الشاعر يمدح الأمين ويعرض بالمأمون :

لم تلده أمة تعرف في السوق التجارا

لا لاوحد ولا جنا ن ولا في الجرى جارا

وكان المأمون قد حده أبوه في جارية من جواريه (١) .

وبعد النزاع بين الأمين العربي الخالص ، والمأمون الفارسي الأم نزاعاً
بين العنصرين العربي والفارسي . وقد انتهى هذا النزاع بانتصار المأمون
على أخيه الأمين أي بانتصار العنصر الفارسي على العنصر العربي .

وتبع هذا بطبيعة الحال ازدياد انتشار اللغة الفارسية على ألسنة الناس
حتى زاحت العربية يستوى في ذلك العامة والخاصة .

ومع أن عمر بن الخطاب في صدر الاسلام كان يحنى على العرب
أن تفسد طبيعتهم وتعوج ألسنتهم اذا خالطوا غيرهم من الأعاجم حتى حرم
عليهم امتلاك الضباع في الأقاليم المفتوحة أو الاستقرار بين ظهرانهم ،
وكان لهذا يحضهم على اقامة المعسكرات البعيدة عن مدنها ، إلا أن هذا
الاجراء لم يحفظ العرب من التأثير بهؤلاء الأعاجم اذ سرعان ما تحولت
هذه المعسكرات العربية الصميمة الى مدن ، وسرعان ما امتلأت هذه المدن
بالعناصر الفارسية التي أذاعت حضارتها ولغتها . ولما رأى علماء اللغة
ما أدى اليه هذا الاختلاط من التأثير في ألسنة العرب اتخذوا من ناحيتهم
اجراءات أخرى لحماية لغتهم العربية .

فكانوا ، مثلاً ، لا يعترفون بلغة أهل الحضرة لأنهم يخالطون الأعاجم
مما يؤثر في صحة لغتهم وسلامة ألسنتهم . وكانوا يترددون الى البوادي حيث

(١) الحارثي : لابن قتيبة ص ١٦٩ ، ط. الاصلية ١٩٢٤

اللغة نقية لم تؤثر فيها عجمة الأعاجم . ورأينا بعض علماء اللغة يزن ما يقدم إليه منها يعرف صحيحه من فاسده . وكان سيويه يقول : «أخبرني من أتى بعربيته ... الخ» (١) فهو هذا يفرق بين عربية نقية لا تشوبها شائبة ولسان عربي سليم ، وبين عربية لحقتها شوائب العجمة ولسان اعترته آفات المنطق لتأثره ببعض لغات العجم .

ويذكر الجاحظ أن النحويين وعلماء اللغة ينصرفون عن كلام الأعرابي إذا خالط أهل المدن . ويعلل السبب في هذا فيقول : « لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص اليان لأن تلك اللغة (يعنى الفصحى) إنما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالحصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة ، وفي تلك الجيرة ، ولقد الخطأ من جميع الأمم . ويضرب لنا مثلا يزيد بن كثرة وكيف كان لسانه نقياً يوم قدم البصرة ثم أخذ يفقد نقاءه بإقامته فيها فيقول : « ولقد كان بين زيد بن كثرة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد ، على أنه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة . وكان لا يفتك من رواة ومذاكرين » (٢) .

ومن الوسائل التي اصطنموها لحماية لغتهم اتخاذهم النحو . وقد تعلم الموانى العربية إتقانوا بها كما أوغلوا في دراسة العلوم الإسلامية ووسيلتها اجادة العربية . إلا أنهم رغم هذا كانوا يقعون في الخطأ والنحن ، وامتد هذا النحن منهم الى العرب أنفسهم حتى أزعج ذلك علماءهم ، وحلهم على التفكير في وضع علم النحو . وقد عبر الشاعر عن أهمية علم النحو بقوله :

النحو بسيط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مقيم الألسن (٣)

(١) لغزاف : ص ٢٢٧

(٢) اليان والتبيين : ١/١٦٢

(٣) الكامل : مجلد ص ٢٣٩ ط. لبيزج .

وإذا كان هؤلاء الموالى هم الذين أقبلوا بلسانهم « فن الإعراب » فقد كانوا في نفس الوقت السبب في وضع « علم النحو » ، كما كانوا السبب في وضع غيره من علوم العربية كالإبلاغة .

ولكن هل أدت هذه الوسائل والأساليب الى حماية العربية من تأثيرات الفارسية حماية تامة ؟ وهل تحقق لعنماء اللغة بعد ذلك ما رجوه من نقاء اللغة وسلامة الألسنة ؟ لم يتحقق هذا بطبيعة الحال لأن اللغات كغيرها من الكائنات الحية لا يمكن أن تعيش في معزل عن غيرها فهي تؤثر وتتأثر . وهذا من دلائل الحيوية والتجدد فيها . وقد فطن علماء اللغة الى هذه الحقيقة البدئية وآمنوا بأن السدود المحكمة التي تقام بين اللغات لا بد أن يعثرها الخلل وتظهر فيها الثغوب والمنافذ الموصلة خاصة إذا كان أصحاب هذه اللغات ممن يعيشون في مجتمع واحد كالعرب والفرس . ولهذا نراه بعد أن سلعوا بمبدأ التأثير باللغات الأخرى كالفارسية يعمدون الى إجراء جديد لحماية العربية مما قد يدخلها من لغة الفرس حتى يصير العربي الأصل واضحاً ، والأعجمي الدخيل واضحاً ، ويعرف عند الناس أصل هذا وأصل هذا فلا يختلط الأعجمي بالعربي اختلاطاً يؤدي الى خفاء أصله وتوهم عربيته . ولهذا نصح أبو بكر السراج من يتصدى للاشتقاق اذ حذرهُ أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الظير ولد الحوت (١) .

ومن المحاولات التي بذلوها في هذه السبيل ما نراه مثلاً في مستهل كتاب المغرب للجواليقي « باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي » . وخلاصة ما جاء في هذا الباب أن العرب احتاجوا الى كثير من الكلمات الأعجمية واستعملوها ولكنهم أجروا فيها بعض التعديلات وفق قواعد معينة ، قبل استعمالها ، تجنباً للخلط .

فهم مثلاً محتاجون الى التغيير في بعض الأحرف إما بالاببدال أو بالتقصان

(١) المغرب لجواليقي : ص ٣ ، ط. دار الكتب ١٣٦٦ هـ .

أو بالزيادة . وقد يقع التغيير في الحركات كتحريك ساكن أو تسكين متحرك .

وهذه التغييرات لها قواعد وضوابط وتكون عادة فيما يشابه ويتقارب .

فحرف الجاف الفارسي يمكن أن يقلب جيا للتشابه بين الحرفين ، كما في الجريز وهو الخداع الخيث أصله كـريز بالجاف الفارسية .

والجرز وهو عود من حديد يتخذ للتال معرب كـرز (١) .

والجرة معرب كـرة .

والجزاف وهو الحدس والتخمين تعريب كـزاف .

والجاموس معرب كـاوميش .

والجوز معرب كـرز .

فحرف الجيم في هذه الكلمات ونحوها منقلب عن الجاف الفارسية .

وحرف الفاء يقلب عادة جيا . فيقولون مثلا في :

كربه بمعنى حانوت « كريج » .

وكوسه بمعنى أمرد « كوسج » .

وموزه بمعنى خف « موزج » .

وحرف الباء المثناة ينقلب عندهم فاء فيقولون في برند وهو الحرير

« فرند » ، وبالوده وهي جلواء تصنع من الدقيق والماء والعمل « فالودج »

... الخ ... الخ .

ومع هذه القواعد التي اصطلمحوا عليها لم يسلّموا من التخليط ولم يسلّم

لهم الأمر على الدوام فيما ليس من كلامهم .

(١) ليس حرف الجاف بين حروف المطبة فأنخذنا من الكاف القائمة بديلا عنه .

كل هذه المحاولات التي أشرنا إليها لم تنفع في حماية اللغة العربية واللسان العربي حماية تامة من انقراضها باللغة الفارسية .

وكان العرب يعجبون بحضارة الفرس ويقتبسون منها في كل شؤون حياتهم . وبلغ إعجاب ابن ميادة بالفرس الى أن يصل نسبه بهم طلباً للرفعة وعلو الذكر ، فزعم أن أمه من كرائم الفارسيات ، ولكن الحكم الحضري دحض زعمه ورد عليه :

وما لك فيهم من أب ذي دسيسة ولا ولدتك المحصنات الكرائم
وما أنت الا عيدهم ان تربهم من الدهر يوماً تستريك المغام

وبهذا وقفه عند حده ، وكشف عن وضاعة أصله ، ولم تصر في الناس دعواه التي زعمها بالانتساب الى الفرس (١) .

فاذا اتصل الأمر باللغة الفارسية تغير الموقف ، فالعربي يعتز بلغته ويفخر بها ، ويعيب من يلحن فيها ، ويحتقر عجمة الأعجمي ولكنته . وكان الأصمعي يحكم على الرجل بالنيل اذا سمعه يعرب ، ويستصغره اذا سمعه في مصر عربي يتكلم بالفارسية (٢) .

لكن الأصمعي وغيره لم يستطيعوا أن يبقوا في وجه الفارسية ويحولوا بينها وبين التسلل الى الآتية .

ففي البصرة مثلا كانت الفارسية شائعة شيوعاً عظيماً حتى وصلت الى القضية الذين كانوا يفهمونها ويتكلمون بها على نحو دارج . وقصة الشاعر يزيد بن اضرغ مع عبد الله بن زياد تدل على هذا ، فانه حين قبض عليه سقاه مسهلاً شديداً وأخذ يطوف به في أنحاء البصرة . وكان يزيد يطلع طول الطريق والصبهان يتبعونه ويعشون به ويقولون له بالفارسية « ابن چيست » أي « من أنت ؟ » فيجيبهم :

(١) الأغاني : ص ٢٦٢ ج ٢ ط ٢ دار الكتب .

(٢) الكامل : ج ١ ص ١٠٠ .

آبست نيب است عصارات زيب است

سميه روسيد است

أى أنه ماء ونيب ، وعصارات زيب ، وسميه ييضاء الوجه . وتفصيل
القصة في كتب التاريخ والأدب (١) .

ولقنو الفارسية في العراق عاب الجاحظ لغة أهله وسمها لخلخانية
الفرات أى عجة أهل الفرات في المنطق (٢) .

ومن الآفات التي ظهرت في لغة أهل البصرة من تأثير الفارسية طريقتهم
في تسمية الأماكن والخطط . ومن اصطلاحهم أن يزيدوا في اسم القرية
التي تنسب الى رجل الفأ ونوناً نحو ثولم :

طلحطان - نسبة الى طلحة بن أبي رافع مولى طلحة بن عبيد الله .

ومهلان - نسبة الى المهلب بن أبي صفرة .

وجيران - قرية لجبير بن حية .

وخلفان - قطيعة لعبد الله بن خلف الخزاعي .

وروادان - لرواد بن أبي بكر .

ويذكر ياقوت أن عثمان أقطع أخاه حفصاً « حفصان » وأخاه أمية
« أميان » وأخاه الحكم « حكام » وأخاه المقيرة « مقيرتان » ... الخ (٣) .

والحقيقة أن هذه الألف والنون هما علامة الجمع في الفارسية للعاقل ،
فكأنهم يريدون « بطلحطان » ، « مهلبان » ، « خلفان » ، « حفصان » ،
« أميان » ... الخ خطة آل طلحة ، وخطة آل مهلب ، وقطيعة آل خلف
... الخ .

(١) كالأخى ج ١٧ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ١٤٣ وغيرهما .

(٢) البيان والتبيين : ٣/٢١٢

(٣) صحب البلدان : مادة البصرة .

ومن الأسماء الفارسية التي شاعت عندهم شهر ماسوران ، وكان فيه كما يقول البلاذري رجل شرير يسمى بالناس ويبحث عليهم فنسب الشهر إليه . والماسور بالفارسية الجريير الشرير (١) .

و « درجاه جنك » من أموالي ثقيف وانما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه ، وجنك بالفارسية صخب (٢) .

و « شهارسوج » أو بالفارسية « جهارسو » ومعناه بالعربية أربع جهات وهو عملة بالبصرة (٣) ويسمونها أيضاً مربعة وهي الموق التي تقام على تقاطع أربع طرق .

ولما تزوج شبرويه الأسواري أم عبيد الله بن زياد « مرجانه » بنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فسمى « هراردر » ويقال انه سمي كذلك لأن شبرويه جعل في القصر ألف باب (٤) .

وأهل الكوفة كذلك تشيع في لسانهم الفارسية فيسمون الخوك ، وهو ربحانة معروفة « الباذروج » ، ويسمون السرق « وازار » وهي فارسية كما يسمون التشاء « خياراً » والخيار بالفارسية ، ويسمون المسحاة « بائ » وهي فارسية ، ويبدى بدلا من مجذوم (٥) .

وشاعت الفارسية كذلك في الحجاز بين أهل المدينة . وقد شرحنا ظروف ذلك فيما سبق : ولهذا يقول الجاحظ : « ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من القرمس من قديم الدهر علقوا بألفاظ من الفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخريز ، ويسمون السيط الرزدق ، ويسمون المصوص المزور (٦) .

(١) فتوح البلدان : ٣٧٤

(٢) نفس المصدر : ٣٦٩

(٣) معجم البلدان .

(٤) فتوح البلدان : ٣٦٧

(٥) البيان والتبيين : ص ١/٢٠ ولفارسية ويدي ، ويضئ مرض الخدام .

(٦) البيان والتبيين : ١/١٩

ومما يدل على انتشار الفارسية في العراق بصفة خاصة على عهد الدولة الأموية أن أهل الشام في حربهم للمختار وشيعته كانوا ينظرون إليهم على أنهم « عبيد اباق تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم نزية ولا ينطقون بالعربية » (١) . ولما بلغ أتباع المختار ما لقي اخوانهم من الحرمة في حربهم مع ابن شبيب لم يصدقوا مبلغهم وقالوا بالفارسية « اين بار دروغ كفت » (٢) أي أنه كذب هذه المرة .

ومن مظاهر شيوع الفارسية ما يذكره الجاحظ من أن الأعرابي قد يملح بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العماني للرشد في القصيدة التي مدحه بها :

من يلقه من بطل مسرند في زعفة محكمة بالسرد
تجول بين رأسه والسكرد

والسكرد هو العنق . وفيها يقول أيضاً :

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف المزير الورد
آلى يذوق الدهر آب مرد

أي حلف لا يذوق الماء البارد أبداً : « آب : ماء ، سرد : بارد » .

وكقول الآخر :

وولهي وقع الأسته والتنا وكافر كوبات لها عجر قند
بأيدي رجال ما كلامي كلامهم يسموني مرداً وما أنا بالمرء (٣)

(كافركوبات : أداة خشبية من أدوات القتال ، كانت تقاتل بها فرقة عرفت باسم الخشبية ، والمرء الرجل) .

(١) الطبري : ٢/٥١٦

(٢) نفس المصدر والجزء : ٥٦٢

(٣) البيان والتهيين : ١/١٤٢

ومما يشبه هذا قول أسود بن أبي كريمة :

لزم الغرام نوبى بكرة فى يوم سبت
فهايلت عليهم ميل زنى بمى
قدحا الداذى صرفا أو عقاراً بايخت
ثم كفتم دور باد ويحكم أن خركفت
ان جلدى ديفته أهل صنعاء بجفت
وأبو عمرة عندى أن كور بد نمست
جالس اندر مكناد أيا عمد بهشت (١)

وهو شعر يخرج عن العربية لكثرة العجمة فيه .

وفى العرب للجواليقى أن رؤبة بن العجاج ، والفصحاء كالأعشى وغيره قد يدخلون فى شعرهم من كلام العجم للقافية أو للطرفة والتفكه . ومن ذلك قول العدوى :

أنا العربى الباك

(باك بالباء المثلثة التقى من العيوب) .

وقول العجاج :

كما رأيت فى الملاء البردجا

وهم السبي . ويقال لهم بالفارسية « برده » (٢) .

وكانت الفارسية مشولة الى حد كبير عن الملكة التى أصابت الخواص والعوام على السواء . ومن أمثلة لكنة العوام ما يروى عن أبى الجهمى الخراسانى النخاس حين قال له العجاج : « أتبيع اندواب المعية من جند

(١) البيان وللتبيين : ١٢٤

(٢) العرب : ٩

انسلاطان» قال : « شريكنا في هوازا ، وشريكنا في مداينا ، وكما تجيء تكون » . فلم يفهم الحجاج شيئاً من لكنة هذا الأعجمي حتى فسرت له ، وكان يريد أن يقول : « شركاؤنا بالأهواز والمدائن يعثون لنا بهذه الدواب فتحن نبيعها على وجوهها » (١) . وهنا تظهر أسباب اللكنة في قول هذا النخاس فإنه لم يستطع أن يجمع « شريك » جمعاً عربياً فقامها على القاعدة الفارسية في جمع العاقل وأضاف إلى الكلمة « ان » فصارت « شريكان » بمعنى شركاء . وكذلك فعل في الأهواز والمدائن فإنه قامها في جمعها على القاعدة الفارسية لجمع غير العاقل وأضاف إليها « ها » . وهذه لكنة ترجع إلى استخدام أنواع من الصيغ والقياس لا يستخدمها العرب ، جهلاً بالقاعدة العربية المتبعة في مثل هذه الحال .

ومن أمثلة اللكنة بين العوام ما قاله فيل مولى زياد ذات مرة وكان بعضهم قد أهدى زياداً حمار وحش : « أهدوا لنا همار وهش » (٢) وهذه لكنة ترد إلى تعذر نطق بعض الحروف العربية .

ومن اللكنة أيضاً ما روى عن أم نوح وبلال ابني جرير بن الحظفي حين قالت لولدها يوماً : « يا نوح جردان دخل في عجان أمك » وكان الجرذ قد أكل من عجيناها (٣) . وهي لكنة مرجعها الخلط بين الألفاظ المتشابهة والجهل بالفروق اللفظية والمعنوية بينها .

وكان شعر ابن الحجاج صورة لما يضمه لسان العامة من تبدل . وقد دعاه هذا التبدل إلى أن ينقل إلى شعره لغة العامة بما تضمنه من المحطات الفكرة ، وعجمة اللفظة . وحسبك أن تقرأ حديثه عن غلامه من قصيدته التي قالها في فتح قلعة أرمدمشت :

(١) البيان والتبيين : ١/١٦١

(٢) نفس المصدر والجزء : ٧٣

(٣) البيان والتبيين : ٢/٢٦٤

سقاني كأسه سحراً بوقت وكان صيوحنا في يوم سبت
 غلام أعجمي فيه ظرف وحقق بالتلطف واتساق
 سقاني دو وسا وازددت منها على سكرى وصبحني بهفت

.. الخ هذه القصيدة التي تمثل خير تمثيل كل ما في لغة العوام من تبدال
 سوق ، ولفظ أعجمي (١). وإلى جانب ما فيها من أفكار وتشبيهات ساقطة
 نراها قد ضمت في أبياتها القليلة وعددها تسعة ، كثيراً من الألفاظ الأعجمية
 التي كانت شائعة في ذلك الوقت في لغة العوام مثل دو ، هفت ، بروا ،
 خوى ، خاني ، جفت ، زادرنخت ، نخت ، دوديك ، تيمردم ، دوست .
 ومن مظاهر هذه العجمة اللفظية في قصائده أمثال :

بلور - ص ٦٧ من ١٥

بيكار - بمعنى عاجز ٦٩ من ١٦

دورق - ٧٠ من ١٨

القلق - وهو طائر ٧٠ من ١٩

هم .. بمعنى أيضاً ٧٣ من ٢

دوكتاب - بمعنى ليلة أمس ٧٣ من ١٦

دوغاج - وهو اللبن الحامض ٧٣ من ١٦

زيرباج - وهو مرق اللحم ٧٣ من ١٦

الكنادر - جمع كندر وهو وعاء يصنع من الطين ٧٥ من ٢

تمكسود - وهو اللحم المملح ٧٦ من ١٥

السكياج - وهو مرق يعمل من اللحم والحل ٣٩ من ١٩

الكواشك - جمع كوشك بمعنى البيت الصغير ٧٨ من ٤

(١) يتيمة الدهر : ٢/٩١ ط. حجازي .

الزرفين - حلقة الباب أو مزلاجه ٥٠ س ٨

خر كوش - وهو الأرنب ٥٧ س ١٥

ولا تدلّ وفرة هذه الألفاظ الأعجمية في شعر ابن الحجاج على علم وثيق بالفارسية لأنها كلها مما شاع في لغة العوام على عصره وكماها بالعجمة والنكته وأبعدها عن الفصحى ، وليس فيما أشرنا إليه من شعر ابن الحجاج ما يصله بالشعر سوى الوزن والثقافية . وتستطيع إذا جردناه منهما أن نعتبره من لغة العوام فكرة ولفظاً . ومما يؤيد عمومية هذه الألفاظ الأعجمية ، ويؤيد في الوقت نفسه جهل الشاعر بالفارسية أن كثيراً من هذه الألفاظ محرف عن أصله الفارسي كما في سا - بروا وأن صيغ الجمع في بعضها صيغ عربية لا تعرفها الفارسية كالكنادر ، الكواشك . يضاف إلى هذا كله أن ابن سكرة الحاشي ، معاصر ابن الحجاج ، كان يذهب في شعره نفس المذهب من حيث المعاني والألفاظ ، ومع ذلك يصرح في بعض أشعاره بأنه لا يفهم الفارسية ، وأنه لهذا السبب لا يستطيع التمام مع غلامه وذلك حيث يقول :

بني بليت بشادن غنج	حسن الثمائل وافر الكفل
بغى الدرهم وهي معوزة	عندي فحبل غير متصل
مستعجم الألفاظ أجهل ما	يبدي ويجهل فهمه غزلي
وإذا مدحت فليس يفهمه	والفارسية ليس من عملي (١)

وهذا قاطع في جهله بالفارسية ، وإن ما يرد منها في شعره إنما هو من لغة العوام .

وكان عبيد الله بن زياد والي العراق الكنّ وإنما أتته هذه الملكة لأنه نشأ بين فرس البصرة عند شيرويه الأموي زوج أمه مرجانه . وكان من لكتته لا يستطيع نطق الخاء فيجعلها هاء . قال الحائي بن قبيصة : « أهروزي سائر

(١) يتيسر الأمر : ٣/١٠

اليوم « يريد أحرورى (١) كما كان يقلب القاف كافاً . ومثله في ذلك أبو مسلم صاحب الدعوة الذي كان يقول « كلت لك » يقصد « قتت لك » رغم حسن الفاظه وجودة معانيه (٢) .

وامتدت لكنة عبيد الله من الحروف والألفاظ الى التعبيرات والأسانيب حتى أنه قال مرة : « افتحروا سيوفكم » يريد سلوا سيوفكم . ولهذا قال يزيد ابن مفرغ بهجوه لهذه اللكنة :

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضياح (٣)

ومن أقيح ما وقع فيه من اللكنة قوله لسويد بن منجوف : اجلس على است الأرض ، قال سويد : « ما كنت أحسب أن للأرض اسماً » (٤) ومع أن زياداً أباه كان خطيباً مفوهاً الا أن ابنه عبيد الله نشأ بهذه اللكنة لمخاطبته الأعاجم مما دعا معاوية الى نصيح زياد ليقوم لسان ابنه .

ومع ما بلغه الخاصة من الأعاجم من براعة في اللغة العربية والعلوم الاسلامية الا أن لسانهم لم يسلم : دائماً ، من عيوب المنطق .

وكان أبو عبيده معمر بن المثنى على عظيم علمه باللغة وأنجبار العرب وأيامهم ربما لم يغم البيت اذا أنشده حتى يكسره (٥) .

ومن أمثلة هؤلاء شاعر معروف هو زياد بن سلمى أبو أمامه المعروف بزياد الأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، ويقال انه ولد ونشأ بأصبهان ثم انتقل بعد ذلك الى خراسان وظل بها حتى مات .

(١) البيان والتبيين : ١/٧٢

(٢) نفس المصدر والجزء : ٧٣

(٣) نفس المصدر : ٢/٢١٠

(٤) البيان والتبيين : ٢/٢١١

(٥) المعارف : ٢٣٥

ومن حكايات. لكته أنه أرسل غلاماً له في حاجة فأبطأ عليه ، فلما عاد سأله : « منذ لدن دأوتك الى أن قلت لي ما كنت تسأ » يريد بذلك : « منذ لدن دعوتك اني أن قلت لييك ماذا كنت تصنع » وهي الفاظ في نهاية القبح واللكنة كما وصفها صاحب الأغاني (١) .

ولما رثي زياد الأعجم المغيرة بن المهلب بقوله :

إن الشجاعة والساحة ضناً قهراً بمرور على الطريق انواضح
فاذا مررت بقبره فاعترف به كرم المجان وكل طرف سايح
قال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامه أتعمرت أنت عنده ؟ قال : كنت على بيت الحمار -- يريد الحمار (٢) .

ومن أمثلة لكنة زياد ما أنشده أبو عبيدة من قوله :

فتي زاده السلطان في الود رفعة إذا غير السلطان كل خليل
قال فكان يجعل السين شيئاً ، والطاء تاء ، فيقول : « فتى زاده السلطان » (٣)
ولهذا العيب في منطقة أهذاه المهلب غلاماً يحيد الالقاه .

ولشيوخ الفارسية في التصور الإسلامية المختلفة شاعت الألقاب الفارسية بين الناس . فالشاعر الأموي علي بن خليل كان يلقب بالبردخت وهو من بني ضبة . وكان معاصراً لجرير وظنّب منه أن مهاجيه ، ولما سأله جرير عن معنى البردخت قال الفارغ بالفارسية . فرقص جرير مهاجاته . وأبي أن يشغل نفسه بمهاجاة فارغ (٤) .

ويزيد بن أبي يزيد المحدث البصري كان يلقب « الزشك » وهو من رثك الفارسية بمعنى الغيرة ، وإنما سمي كذلك لأنه كان غيرراً (٥) .

(١) الأغاني : ١٤/٩٩ ط. الساسي .

(٢) نفس المصدر .

(٣) البيان والتبيين : ١/٧١

(٤) الشعر والشعراء : ٤٤٧ ط. ليدن .

(٥) الانساب السعدي : ٢٥٢

ولقب معاوية الزياتي المحدث « الخشنار » كما لقب بهذا الاسم أيضاً غلام أمرد جميل الوجه كان بكر بن بكر ينشقه . ولاين مناذر شعر في بكر بن بكر وغلame الخشنار رواه صاحب الأغاني (١) والخشنار من طير الماء .

ولاين مناذر قصيدة في هجاء محمد بن عبد الوهاب يقول فيها :

إذا أنت تعلقت بحبل من أبي الصلت
تعلقت بحبل وا هن انقوة منبت
وقال الشيخ سرجويه ه ذاه المرء من تحت

وكان سرجويه أعجبياً لا يفصح فلما بلغه هذا الكلام جاء الى محمد ابن عبد الوهاب في مجلسه يبرأ مما قيل منسوباً اليه ، ولم تسغه عربيته فقال : «بركمت من نكتكم أن يسر مناذر كفت ذاه المرء من تحت» . وقد أنارت لهجة وعجمته ضحك الحاضرين (٢) .

وشاعت الفارسية بين سكان الأقاليم الاسلامية على اختلاف أجناسهم وأديانهم . وعلى الرغم من أن جبريل بن غنثشوع كان سريانياً الا أنه كان يجيد الفارسية . ولما عاد الفضل بن سهل وهو عموم وجد معه القرآن فسأله : نشون (جون) بينى نامه ايزد ؟ أى كيف تجد كتاب الله . فأجابه الفضل : حش (خوش) فنشون (وجون) كليله فلنمه (ودمنه) أى حسن مثل كايله ودمنه . وكان آل غنثشوع جميعاً يجيدون الفارسية رغم أنهم من السريان ، نكان جبريل بن غنثشوع مثلاً يجيدها (٣) وكان جبريل بن عبد الله بن غنثشوع عالماً باللغة الفارسية (٤) . وكان جورجيس بن جبريل اذا وصل الى الحضرة دعا للمصور بالفارسية والعربية (٥) .

(١) الأغاني : ١٧/١٧ ط. الساسي

(٢) الأغاني : ١٧/١٨ ط. الساسي .

(٣) حيفات الأنبياء : ١٣١ ط. الرهبية .

(٤) نفس المصدر : ١٤٥

(٥) نفس المصدر : ١٢٤

ومن أصابهم آفة المنطق أبو حنيفة فإنه كان ، على عظيم قدره في الفقه ،
لحاناً . سأله رجل : ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل
فقتله أتقيد به ؟ قال : لا . ولو ضربه بأبأ قبيس (١) .

ومنهم كذلك بشر المريسي نسبة الى مريس قرية بمصر (٢) وهو أبو
عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي مولى زيد بن الخطاب
من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي . كان يقول لجلسائه :
قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهشوها (٣) .

وهكذا ترى أن الفارسية قد تركت أثرها وأدخلت الضم على العربية
في ألسنة الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم اللهم الا القلة التي استقام
لسانها في اللغتين على السواء . ومن هذه القلة موسى بن سيار الأسواري
الذي كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان في هذا ،
كما يقول الجاحظ ، من أعاجيب الدنيا (٤) .

وليس على الأعاجيب يقاس .

(١) المقدم القريني : ٢/٤٨٢

(٢) انساب .

(٣) المقدم القريني : ٢/٤٨٢

(٤) البيان والتبيين : ١/٢٦٨